

تفسير البحر المحيط

. @ 241

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا * الَّذِينَ كَفَرُوا * مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخُرُجُوا
وَلَا ظَنَنْتُمْ أَنْ نَزَّهُمْ * مَّا نَزَعْتُهُمْ * حُصُونَهُمْ (سقط : الآية كاملة) . .

هذه السورة مدنية . وقيل : نزلت في بني النضير ، وتعد من المدينة لتدانيها منها .
وكان بنو النضير صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، على أن لا يكونوا عليه ولا له .
فلما ظهر يوم بدر قالوا : هو النبي الذي نعته في التوراة ، لا ترد له راية . فلما هزم
المسلمون يوم أُحد ، ارتابوا ونكثوا ، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة ،
فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة ، فأخبر جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم) بذلك ، فأمر
بقتل كعب ، فقتله محمد بن مسلمة غيلة ، وكان أخاه من الرضاعة . وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم في دية المسلمين الذين قتلها عمرو بن أمية
الضمرى ، منصرفه من بئر معونة ؛ فهموا بطرح الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ،
فعصمه الله تعالى . .

فلما قتل كعب ، أمر عليه الصلاة والسلام بالمسير إلى بني النضير ، وكانوا بقرية يقال
لها الزهرة . فساروا ، وهو عليه الصلاة والسلام على حمار مخطوم بليف ، فوجدهم ينوحون على
كعب ، وقالوا : ذرنا نيكى شجوناً ثم مر أمرك ، فقال : (اخرجوا من المدينة) ، فقالوا :
الموت أقرب لنا من ذلك ، وتنادوا بالحرب . وقيل : استمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج
ـ ودس المنافق عبد الله بن أبيّ وأصحابه أن لا تخرجوا من الحصن ، فإن قاتلوكم فنحن معكم
ولننصرنكم ، وإن أخرجتم لنخرجن معكم . فدرّبوا على الأرفة وحصنوها ، ثم أجمعوا على
الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فقالوا : اخرج في ثلاثين من أصحابك ، ويخرج منا
ثلاثون ليسمعوا منك ، فإن صدقوا آمنا كلنا ، ففعل ، فقالوا : كيف نفهم ونحن ستون ؟ اخرج
في ثلاثة ، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا ، ففعلوا ، فاشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك
ـ فأرسلت امرأة منهم ناصحة إلى أخيها ، وكان مسلماً ، فأخبرته بما أرادوا ، فأسرع إلى
الرسول عليه الصلاة والسلام ، فساره يخبرهم قبل أن يصل الرسول إليهم . .

فلما كان من الغد ، غدا عليهم بالكتائب ، فحاصروهم إحدى وعشرين ليلة ، فقذف الله في
قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين ، فطلبوا الصلح ، فأبى عليهم إلا الجلاء ، على أن

يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من المتاع ، فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات ، إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب ، فلاحقوا بخيبر ، ولحقت طائفة بالحيرة ، وقبض أموالهم وسلاحهم ، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً . وكان ابن أبي قد قال لهم : معي ألفان من قومي وغيرهم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان . فلما نزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، اعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان . .

ومناسبتها لما قبلها : أنه لما ذكر حال المنافقين واليهود وتولي بعضهم بعضاً ، ذكر أيضاً ما حل باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم ، وإمكان الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول عليه الصلاة والسلام وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش . .

وتقدم الكلام في تسبيح الجمادات التي يشملها العموم المدلول عليه بما ، { مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } : هم قريظة ، وكانت قبيلة عظيمة توازن في القدر والمنزلة بني النضير ، ويقال لهما